

الأدب التفاعلي؛ افتتاح الرؤى والآفاق

Interactive literature: Opening up Visions and Horizons

* لبنى بوخناف

Loubna boukhenaf

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية.

جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)

University of 8 May 1945 Guelma (Alegria)

boukhenaf.loubna@univ-guelma.dz

تاريخ النشر: 2026/09/02

تاريخ القبول: 2026/05/21

تاريخ الإرسال: 2026/03/15

ملخص البحث

تمخّضت عن ثورة المعلومات التكنولوجية آثار إيجابية ما فتئت تظهر نتائجها على الصعيد الأدبي الذي تأثر بها وأثر فيها على حدّ سواء، حيث تم الانتقال من الورقي إلى الإلكتروني دون إلغاء النماذج التقليدية وإحداث القطيعة معها، فبات العالم الافتراضي الجديد عالماً تفاعلياً رقمياً، يحمل عدة تقنيات حديثة، وتحول إلى جنس أدبي جديد قائم بذاته يحمل صفاته وخصائصه التي تميزه عن الأدب الورقي، وهو ما جعله يستفيد من تداخل الأجناس التقليدية الأخرى، شعر، مسرح، رواية، والتي جعلت من المتلقي مبدعاً فعلاً مهمته الكشف عن أسرار العملية التفاعلية الإبداعية ومختلف الوسائط التي تعمل على إظهاره.

وتتوصل هذه الدراسة إلى إبراز الخصائص والمميزات التي يتصف بها الأدب التفاعلي، كما سألقي الضوء حول آليات تشكيل وتلقي الأدب التفاعلي، بالتركيز على أركان العملية التواصلية الإبداعية (المبدع، النص الإبداعي، المتلقي).

الكلمات المفتاح: أدب تفاعلي؛ تفاعلية؛ وسيط؛ كتاب رقمي؛ كتاب ورقي.

Abstract :

The technological information revolution has yielded positive effects that continue to manifest in the literary field, which has both been influenced by and influenced it. The transition from print to digital was achieved without abandoning traditional forms or severing ties with them. The new virtual world has become an interactive digital realm, embodying several modern technologies, and has transformed into a new literary genre in its own right, possessing its own characteristics that distinguish it from print literature. This has allowed it to benefit from the intermingling of other traditional genres—poetry, theater, and the novel—which has made the reader an active creator

* لبنى بوخناف: boukhenaf.loubna@univ-guelma.dz

whose role is to uncover the secrets of the interactive creative process and the various media that contribute to its expression.

This study aims to highlight the characteristics and features of interactive literature. It will also shed light on the mechanisms of its formation and reception, focusing on the pillars of the creative communication process: the creator, the creative text, and the reader.

Keywords: Interactive literature; Interactivity; Medium; Digital book; Print book.



المقدمة:

لقد أحدثت الثورة المعلوماتية إنقلابا جذريا في إبداع العقل البشري، من خلال الإنجازات التي قام بها، وعلى إثرها أحدث تحولا حاسما في الساحة الأدبية والثقافية لما صاحبه من تحولات على جميع الأصعدة شملت كل نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعلى إثر هذا التطور الحاصل في ثورة الاتصالات المعلوماتية فتح مجال المزاوجة بين الأدب والتكنولوجيا إلى ظهور أشكال وأجناس جديدة ومتنوعة، فقد كان الانتقال من الأدب الورقي إلى الأدب الرقمي أو الشاشة الزرقاء ملمحا بارزا يتسع يوما بعد يوم، وما يجب التأكد عليه هو أن هذا الأدب لا يندرج ضمن التقليد الأدبي المعروف بخصائصه الكتابية والقراءة إنما يشكل رؤية جديدة مغايرة للسنن الأدبي المعتاد. إن الانتقال الثقافي والمعرفي الذي سجله التاريخ لا يكون برغبة عفوية من دون توفر المحفز الحقيقي للانتقال، فالشفاهية حين زالت من صبغة عصر بأكمله لم تتنازل أمام صبغة الكتابة، بل شكلت بداية الانتقال من طور ثقافي ومعرفي إلى آخر جديد سجله لنا التاريخ بأمانة، واليوم نحن نشهد انتقالا مفصليا، أيضا حتمية الظروف الثقافية والمعرفية التي أحاطت بمناخنا الحيائي فصبغت مجالاته العملية والأدبية، فنحن نعيش عصر الأنوميديا والوسائط المعلوماتية بامتياز، بكل حمولاتنا الثقافية والمعرفية والعملية والأدبية، وهذا لا يعني كما يرى بعض المثقفين أن هذه الانتقالية ستعطل السابق أي الكتاني/الورقي وتنسخه نسخا تفصيليا، بل هو انتقال يشير إلى حلول تطور ثقافي ومعرفي عام، لكن السابق سيستمر بوجوده مادام التفاوت حاضرا في الطاقات والأذواق والاختيارات، فنحن اليوم في طور تشكيل نظام معرفي وفلسفي لعصر التكنولوجيا وسيتعايش حتما مع الشفاهية والكتانية بوصفه ضربا من أضرب التنوع والتناغم بين العناصر المختلفة لتكوينية الحياة، وعليه كان لزاما تركيز البحث على صلة الحاسوب بالأدب، وتسخير الآثار التي تلحق بالأدب حاليا كتابة وقراءة ونشرا مع ما يلزم ذلك من تحولات طرأت على الوضع الاعتيادي للمؤلف والقارئ والملكية الفكرية إثر استعمال جهاز يتجاوز مجرد كونه حاملا للنصوص إلى وسيط مركب يؤدي وظائف خمسة هي: الكتابة والقراءة، والتخزين والبث والاستقبال.

وعليه تهدف دراستنا إلى إلقاء الضوء على مجال الأدب التفاعلي وتحديد مظاهره وخصائصه المتميزة، وذلك بالإجابة عن الإشكالية الآتية:

- كيف عكس الأدب التفاعلي مجمل التحديات الثقافية والتكنولوجية التي تواجه الإنسان المعاصر ؟
- أين تكمن سمات التجدد والتميز التي جسدها الأدب الرقمي ؟ وماهي آفاقها المستقبلية ؟

1. لمحة عن الأدب التفاعلي:

يعرف الأدب التفاعلي بأنه " الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة خصوصا المعطيات التي يتيحها نظام النص المتفرع في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية والالكترونية، ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الالكتروني أي من خلال الشاشة الزرقاء، ويكتسب هذا النوع من الكتابة الأدبية صفة التفاعلية بناء على المساحة التي يمنحها للمتلقى، والتي يجب أن تعادل وربما تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص (البريكي، 2006) "مما يعني قدرة المتلقي على التفاعل مع النص بأي صورة من صور التفاعل الممكنة، كما عُرِف الأدب التفاعلي عموما بأنه مجموع الإبداعات (والأدب من أبرزها) التي تولدت مع توظيف الحاسوب ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج و التلقي " فالكتابة الرقمية كتابة جماعية، فالكلمة يشارك في إبداع النص، ومن ثم فالأدب الرقمي هو أدب متعدد الوسائط (الصوت، والصورة، والنص) ويخضع لعلاقات تفاعلية مباشرة وغير مباشرة، بمعنى أن المبدع يدخل في علاقات تفاعلية حميمة مع المتلقي الرقمي أو الالكتروني أو الحاسوبي، بتبادل الملاحظات والانتقادات والتعليقات المختلفة، وقد يكون هذا التفاعل مباشرا على صفحة النص بحضور الكاتب والمتلقي، وقد يكون غير مباشر بحضور أحد الطرفين " (حمداوي، 2017).

وعلى هذا الأساس كان ظهور الجنس الجديد الذي يجمع بين الأدبية والرقمية ويكتسب صفة التفاعلية بناءً على تلك العلاقات، حيث يقصد بالكتابة الرقمية "تلك الكتابة التي تتخطى عالم الطباعة الورقية أو عالم الشفوية المسموعة نحو استخدام الحاسوب والأجهزة الرقمية كالإنترنت أو غيرها من الوسائل والأجهزة الالكترونية" (حمداوي، 2017)، زيادة على المساحة الواسعة التي يمنحها للمتلقى الذي أصبح بإمكانه أن يشارك في تشكيل النص، وعليه نستطيع أن نقول أن " النص التفاعلي هو النص المقدم إلكترونيا، بالاتصال بالشبكة أو دون الاتصال بها بالإضافة إلى الاستعانة بالصوت والصورة والوسائط المتعددة، ويشترط فيه الحضور التام للقارئ والفاعل " (ملحم، 2013).

2. التفاعلية:

يعرفها سعيد يقطين في كتابه النص المترابط التفاعل على أنها " عملية التبادل أو الاستجابة المزدوجة التي تتحقق بين الإمكانات التي يقدمها النظام الإعلامي للمستعمل والعكس، ويمكن التدليل على ذلك من خلال نقر المستعمل على أيقونة مثلا للانتقال إلى صفحة أخرى، كما أن الحاسوب يمكن أن يطلب من المستعمل فعل شيء ما، من خلال ظهور شريط يحمل معلومات على المستعمل الخضوع لها لتحقيق الخدمة المطلوبة " (يقطين، 2005) إذ يعتبر التفاعل مفهوما جامعاً يتسع لعلاقات تربط بين النصوص، كما يهتم بالعلاقة القائمة بين القارئ والنص، أما التفاعل في المعلوماتيات وما تقدمه التكنولوجيا الرقمية فهو أكثر تشعبا من ذلك التفاعل الذي نلمحه في النص الورقي، أما إذا عدنا إلى مصطلح التفاعلية والتي تعتبر الخاصية الأكثر تميزا للأعمال الرقمية، وقد اختلف في إعطاء مفهوم محدد للتفاعلية فهناك من يرى أنها خاصية للعمل تدخل ضمن البرنامج، وتمثل في قدرته على إحداث نشاط مادي لدى القراء وعلى

التجارب مع هذا النشاط، في حين يوسع بقية الباحثين مدلولها لتشمل مختلف مكونات العمل الممتثلة في تحريكها و تواصلها فيما بينها.

ينطلق هذان المساران الذان يوضحان مدلول التفاعلية من رؤية متركزة حول التقنية، حيث تعتبر العمل نظاما تكنولوجيا في حالة اشتغال، ولذلك فهما يستخلصان منطقيا أن القارئ يشكل عنصرا داخليا في العمل، أي مكونا من مكونات النظام التقني للعمل، إلا أنني أرى أن نظرة كهذه تعجز عن إدراك الاختلاف الأساسي بين النظام التقني والنشاط الإنساني، فالبرنامج لا يعرف التحكم سوى في رموز وعلامات، والعلامة على عكس " المعطى المعلوماتي " لا تعطى ولكن تبذل، فالإختلاف هنا أساسي، ويُمثل في تعذر تجاهل الطبيعة السيكلوجية للعلامة، وبذلك فالتعريف الذي يختزل التفاعلية في مجرد بعدها التقني لا يمكنه أن يعالج المظاهر السيميائية الناتجة عن التفاعل المادي بين القارئ والبرنامج، ذلك أن عددا كبيرا من الأعمال يتركز أساسا على هذا المستوى من التفاعل الذي هو قبل كل شيء مواجهة بين قاصدين: قصد المؤلف الذي ينشطه البرنامج ونتائجه وكالة عن هذا المؤلف، وقصد القارئ المتجلي داخله، لذلك نعرف التفاعلية بأنها "خاصية للعلاقة التي تقوم بين القارئ والبرنامج، إنها قدرة تمنح للقارئ وإكراه يخضع البرنامج: يمنح العمل للقارئ قدرة التأثير في تركيب العلامات المقترحة للقراءة ويفرض العمل نفسه على البرنامج أن يتجاوب مع بعض المعلومات التي يقدمها القارئ" (يقطين،، 2005).

إذن التفاعلية بحسب هذا التعريف هي خاصية للعمل الأدبي وليست للبرنامج وحده، فمن وجهة نظر القارئ، لم يعد البرنامج نظاما يندرج فيه هذا القارئ بل صار أداة يستخدمها القارئ نفسه في بناء المعنى بواسطة القراءة، وهذا التصور يندرج في رؤية أنثروبومركية (متركزة حول الإنسان لا النظام التكنولوجي) للنشاط الإنساني طورها علم النفس الأداتي مع بيير رايل (Pierre Bayle) بالخصوص، ويرسي قطيعة جذرية مع الرؤية المتركزة حول التقنية، وهي رؤية شديدها كل من العلم والتقنية.

3. من الورقية إلى الرقمية:

شهد العالم العربي والغربي تغيرا ملحوظا بدخوله مجالا جديدا، ووسيطا مغايرا للورق، تجسد في النص الأدبي الرقمي، وهذا الجديد يحمل معه فروقات وسائط عديدة تميزه عن الآخر، فقد بدأت المرحلة الورقية باكتشاف ورق البردي واستخدامه كوسيط للكتابة بدل الطين والحجر، والصخور والخشب، ثم مع تطور وعي الإنسان شيئا فشيئا أصبحت الكتابة على جلود الحيوانات، فهذه الميزة أدت إلى تطور الكتابة مقارنة بما كانت عليه في الصخور، وبعدها تم استخدام النقط والفواصل ثم الانتقال إلى النقوش، ثم بعد الكتابة الممارسة من طرف الإنسان إنتقلت الكتابة إلى الآلة أو الطباعة وذلك في القرن الخامس عشر ميلادي، فكانت نقلة وحداثا بارزا في نشوء عدة علوم حديثة مما سهّل عملية القراءة وخلق علاقة بين النص والقارئ، " لذلك إذا لم تسهم الرقمية الحديثة في خلق تحديث حقيقي للذهنيات وتحديث للرؤى الخاصة بالحياة وبالوجود، فستكون كسابقاتها آلة صماء بمرودية محدودة بل تسهم في المزيد من التشويه الحضاري الذي يطول الآن أجزاء كثيرة من حياتنا" (بنكراد، 2013)، ويمكن الفارق الجوهرى بين الرقمي والورقي في أن النص الورقي نص عادي كما عهدناه في الكتب الورقية المطبوعة، أما النص الرقمي فهو نص لا يكتب على الورق بل

على شاشة الحاسوب الزرقاء، ويمكن الوصول إليه عبر الوسيط الإلكتروني أو عبر الحاسوب المتصل بشبكات الاتصال، فالنص الرقمي نص جديد النشأة في الساحة الأدبية ظهر في بيئة رقمية مخالفة للبيئة الورقية. وعليه ينتمي هذا النص إلى مرحلة ما بعد الحداثة، " ونعني بالكتابة الرقمية تلك الكتابة الأدبية والنصية والفنية والجمالية التي تسترشد بالتقنيات الافتراضية المختلفة، أو تستعين بالتقنيات التي يسمح بها الحاسوب والأنترنت أو اللوحة الرقمية، وتستند تلك الكتابة أيضا إلى العقد والروابط والآليات الإعلامية والإلكترونية ضمن نسق ترابطي وشبكي" (حمادي، 2017)، فهذا النص الجديد بفضل ميزاته وممارساته الجديدة وتوظيفه لوسائط جديدة مغايرة يفتح في إنتاجه وتلقيه، وسنجري مقارنة بسيطة بين شكل ومحتوى الكتابة الرقمية والورقية انطلاقا من سمات الكتابة في كل عصر، "فقد شهد النص الأدبي الورقي دورة حياة تضمنت عدة مراحل، حيث حمل النص الأدبي مميزات كل مرحلة، ابتداء من المرحلة الشفاهية التي عمرت طويلا قبل أن تنتقل إلى مرحلة التدوين أو الكتابة التي أحدثت تغييرا جذريا في الفكر والثقافة والتاريخ، ومن الكتابة إلى المرحلة الأكثر تطورا وهي المرحلة الرقمية أو الإلكترونية، وقد مثلت هذه المرحلة فاطمة البريكي من خلال كتابها مدخل إلى الأدب التفاعلي (بنكراد، 2013).

تمثل هذه الدورة مرحلة الانتقال من المشافهة إلى الكتابة أي من الكتابة إلى الرقمية، حيث أصبحت التكنولوجيا مسيطرة على مختلف مجالات الحياة متجاوزة بذلك كل التجارب التقليدية الكلاسيكية إلى تجارب جديدة، دون أن تحدث معها القطيعة، وأتما تعمل على تطويرها خاصة ما شهده العالم في عصر العولمة والتكنولوجيا المعاصرة إذ "يتعلق الأمر بالرغبة في خلق قطيعة مطلقة بين تجربة كلاسيكية محدودة من حيث الأنساق المكونة لها (نص في مادته اللغة وحدها أو الصورة وحدها أو الموسيقى وحدها) وما يمكن أن تقدمه الأسناد الجديدة للتجربة الفنية التي وفرتها تقنيات الكتابة الرقمية التي لا تعترف بالحدود الفاصلة بين هذه الأنساق مجتمعة" (البريكي، 2006)، فتتعلق الأدب والتكنولوجيا أفرز لنا ما يسمى **الأدب التفاعلي أو الرقمي**، هذا التزاوج الذي جاء نتيجة الثورة المعلوماتية التي حملت في طياتها تأثيرات حاسمة على شكل الكتاب، ومن ثم على جوهره، حيث مَسَّ هذا التغيير شكل ومضمون الكتاب، أما من ناحية ثورة المعلومات الحديثة أحدث إقبالا على مستوى الكتابة التقليدية، وبالتالي تغيير طرق تلقي المعلومات والمعارف بسبب دخول وسائل تكنولوجيا جديدة في مجال الأدب.

4. مميزات الكتابة التفاعلية:

- تتجلى أبرز سمات ومميزات الكتابة الإلكترونية في النقاط الآتية: (كرام، 2009):
- أدى الكتاب الإلكتروني إلى زيادة حجم وعدد المتلقين، واتساع رقعة الكتاب بسبب كثرة المواقع الإلكترونية مقارنة مع عدد المطابع ودور النشر.
- زيادة حجم التفاعل بين المرسل والمتلقي في المواقع الإلكترونية، مما أدى إلى إستمرارية في إنتاج الصحيفة الرقمية التي من خلالها يرفق النص بردود أفعال وتعليقات فورية من المتلقي بعد أن كانت الصحف الورقية تتلقى ردود القراء في طريق البريد التقليدي.
- تسمح الكتابة الرقمية بتجاوز الحدود الجغرافية الفاصلة، بعد أن كانت الحدود الجغرافية تحول دون وصول الكتب مطبوعة لأسباب سياسية.

– أصبح النص الإلكتروني نصا مفتوحا على المتلقين، فقد أصبحت الأخبار تتداول من البيت مباشرة دون اللجوء إلى التنقل والسماع.

– يسمح النص الرقمي باستخدام التوضيحات والمرفقات البصرية والسمعية، لتمنحه صفة الحركية وعدم الثبات. - الأدب التفاعلي يقدم نصا مفتوحا نصا بلا حدود، إذ يمكن أن ينشئ المبدع أيّا كان نوع إبداعه، نصا ويلقي به في أحد المواقع على الشبكة ويترك للقراء والمستخدمين حرية إكمال النص كما يشاؤون.

– الأدب التفاعلي يمنح المتلقي أو المستخدم فرصة الإحساس بأنه مالك لكل ما يقدم على الشبكة، أي أنه يعلي من شأن المتلقي الذي أهمل لسنين طويلة من قبل النقاد والمهتمين بالنص الأدبي، والذين اهتموا أولا بالمبدع، ثم بالنص والتفتوا مؤخرا إلى المتلقي.

– لا يعترف الأدب التفاعلي بالمبدع الوحيد للنص، وهذا ما يترتب على جعل جميع المتلقين والمستخدمين للنص التفاعلي مشاركين فيه ومالكين لحق الإضافة والتعديل في النص الأصلي.

– البدايات غير محدّدة في بعض نصوص الأدب التفاعلي، إذ يمكن للمتلقي أن يختار نقطة البدء التي يرغب بأن يبدأ دخول عالم النص من خلالها، ويكون هذا باختيار المبدع الذي ينشئ النص أولا، إذ يبنى نصه على أساس ألا تكون له بداية واحدة، والاختلاف في اختيار البدايات من متلقي لآخر، يجب أن يؤدي إلى اختلاف سيرورة الأحداث في النص الروائي أو المسرحي على سبيل المثال، من متلقي لآخر أيضا، وكذلك فيما يمكن أن يصل إليه كل متلقي من نتائج.

– النهايات غير موحدة في معظم نصوص الأدب التفاعلي فتعدد المسارات يعني تعدد الخيارات المتاحة أمام المتلقي المستخدم، وهذا يؤدي إلى أن يسير كل منها في اتجاه يختلف عن الاتجاه الذي يسير فيه الآخر، ويترتب على ذلك اختلاف المراحل التي سيمر بها كلّ منها، مما يعني إختلاف النهايات أو على الأقل الظروف المؤدية إلى تلك النهايات وإن تشابهت أو توحدت.

– يتيح الأدب التفاعلي للمتلقين المستخدمين فرصة الحوار الحي والمباشر، وذلك من خلال المواقع ذاتها التي تقدم النص التفاعلي رواية كان أو قصيدة أو مسرحية، إذ بإمكان هؤلاء المتلقين المستخدمين أن يتنافسوا حول النص وحول التطورات التي حدثت في قراءة كل منهم له، والتي تختلف غالبا عن قراءة الآخرين.

– إنّ كل المزايا السابقة تتضافر لتنتج ميزة أساسية وهي أنّ درجة التفاعلية في الأدب الرقمي تزيد كثيرا عنها في الأدب التقليدي المقدم على الوسيط الورقي.

– في الأدب التفاعلي تتعدد صور التفاعل، بسبب تعدد الصور التي يقدم بها النص الأدبي نفسه إلى المتلقي المستخدم.

إنّ ما يحدث في مجال التخيل الرقمي ليس قطيعة بقدر ما هو عبارة عن تغيير سؤال الأدب من منتجه المباشر المؤلف/الكاتب إلى القارئ، "ومن التعامل مع اللغة السردية المألوفة باعتبارها جوهر الفعل المحقق للحالة النصية إلى اعتبارها مجرد عنصر من بين عناصر لغوية جديدة تدخل بمنطقها وآلياتها وطريقة تعبيرها لغة البرمجة المعلوماتية" (كرام، 2009)، ومن هنا فقد فرضت التقنيات الحديثة على الكاتب والقارئ وسائلها الجديدة للتدوين والاتصال والبحث

والتدريس التي تختلف عن كل الوسائل المعتادة، فقديمًا كان هناك الكتاب والصحيفة الورقية التي تصل القارئ بالعالم والباحث والشاعر، أما الآن فهو أمام آلة تحمل ثلاثية الصورة والصوت والنص المكتوب على الشاشة الزرقاء، وعليه ينبغي على الكاتب أو الباحث الذي يريد أن ينشأ نصًا رقميًا أن يتقن استخدام الحاسوب وكل البرامج المتعلقة به خاصة برنامج الورد، حيث يقوم هذا البرنامج بأعمال كثيرة منها إنشاء الأدلة والملفات والكتابة، وتحديد مساحات الصفحة وأوضاعها والتحرير، والحفظ واللصق والقص، والتنسيق والحذف، كما يمكن تعديل النص الرقمي في أي وقت يريد الكاتب تغييره أو تعديله، كما يسمح بالمعاينة والطباعة واختيار اللغات بسهولة فائقة.

ومن بين المزايا التي يتمتع بها الكتاب الرقمي سهولة حمله ونقله على أجهزة متعددة وقراءته باستخدام الحاسوب وأجهزة القراءة على الهواتف المحمولة وغيرها، بالإضافة إلى قدرته على الترجمة إلى لغات أخرى، كما يستطيع المتلقي إجراء تعديلات على النص الرقمي كتكبير حجم الخط وتغييره واختيار اللون... إلخ، كما له قابلية النشر إلى عدد غير متناهي من الكتب " فالكتاب الورقي يُعد وسيطًا أساسيًا لخلق تواصل ثقافي ومنتج بين القارئ والأدب الرقمي " (دحو، 29 ديسمبر 2017).

وعلى العموم فإنّ الإختلاف بين الورقي والرقمي يكمن في " شكل وكيفية التفاعل أثناء الإنتاج والقراءة، ففي النص الورقي تنطلق العملية التفاعلية أثناء عملية القراءة فقط، وتكون فردية متعلقة بقراءات متباعدة لا يمكن أن تشترك في زمن القراءة والتفسير والتحليل إلا في مجموعات القراءة الجماعية، ومع ذلك فلا يستطيع القارئ والكاتب أو المبدع الاشتراك في إنتاج النص الورقي إلاّ عبر النص المكتمل من طرف الكاتب أثناء القراءة " (دحو، 29 ديسمبر 2017) وهذا ما يولد أثرًا بين القارئ والكاتب، فالكاتب يعتمد على مقصدية معينة من خلال عمله الأدبي الذي يأخذه المتلقي بشيء من التأويل، " أما في الأدب الرقمي فإنّ شرط العملية التفاعلية مرتين بالمساحة التي يتركها الكاتب الذي أصبح مبداً يتقن التأليف والتوليف بين عنصري الكتابة والمؤثرات الصوتية والصورية فاسحا المجال أمام قرائه للانخراط والمشاركة في إنتاج النص، ومن ثمّ قراءته، فيصبح بحق نصاً أدبياً مفتوحاً للبناء والتأويل " (دحو، 29 ديسمبر 2017).

5. آليات تشكيل وتلقي الأدب الرقمي:

يمتاز الأدب الرقمي عن الأدب العادي بكونه أدبا مفتوحا بلا حدود لا يعترف بالمبدع بل يمنح المتلقي فرصة الإحساس بأنه مالك النص، ثم أنّ طريقة القراءة تختلف من متلقي إلى آخر، فهو غير محدد ببداية ولا نهاية مما يتيح الفرصة للمتلقي لإيجاد سبل الحوار، ويخلق نوعا من التفاعلية وتعدد الأصوات عكس الأدب التقليدي الذي يعتمد على الخطية وسلطة المبدع ونسبة العمل الأدبي إليه.

إنّ الانتقال من الأدب الخطي التقليدي الذي يمثله الكتاب الورقي إلى سلطة النص الرقمي الذي تمثله الشاشة الزرقاء فتح المجال لظهور وسائط متعددة لإنتاج وتلقي هذا النوع من الأدب في ساحة التجريب " فهو نوع جديد يعتمد على استخدام الوسائط المتعددة التي تعينه على إنتاج النص وتلقيه، فهذا التطور التكنولوجي الذي شهده العصر مرهون بتجديد الفكر والوعي بضرورة الانفتاح أكثر على تكنولوجيا المعلومات والخروج من قوقعة القديم وتطويره بوسائل حديثة وبأساليب وطرق تمكنه من خلق معنى جديد وبالتالي جنس أدبي جديد يجمع بين القديم والمعاصر "

(كرام، 2009)، إذ يتحقق النص ويكتسب مشروعيته بفعل الكتابة التي يقوم بها المبدع فلا يحق لأي شخص أن يمس مكوناته الشكلية والموضوعية، وله السلطة والملكية الخاصة بهذا النص، وعليه يترك المبدع حرية مطلقة للمتلقي في تشكيل المعنى وفك رموزه فقط، أما في مجال التكنولوجيا فيتميز النص الرقمي بموت المؤلف الذي يشاركه نصه عدد غير محدود من القراء، ففي الأدب الرقمي يفقد الأديب صلاحياته مما أدى إلى ظهور عدة أجيال تخص الكتابة التفاعلية مثل: كاتب مشارك، التلقي التفاعلي،...

أدى دخول النص مجال الرقمية والتكنولوجيا إلى تغيير جذري في آليات تشكيل النص وتلقيه، وهنا يمكننا طرح إشكالية هامة: فهل بدخول الوسيط التكنولوجي تُلغى الأشكال التقليدية والآليات القديمة في التعامل مع النص الأدبي؟ وما الجديد في تشكيل وتلقي النص الرقمي؟ لكي نجيب على هذا السؤال نقول أنه لا يمكن للنص الرقمي أن يرتقي إلى الإبداعية ما لم تتوفر فيه شروط تؤهله إلى أن يكون نصا رقميا معترفا به، ولا يكون هذا الاعتراف إلا إذا تكاملت ثلاثة أطراف أساسية في تشكيل وإنتاج النص الرقمي: المؤلف والمبرمج أو الخبير في المعلوماتية والوسيط أو جهاز الحاسوب، فبتظافر هذه الأطراف تتحقق الصفة التفاعلية، فالأدب الرقمي كما هو الشأن في الأدب الورقي له مصطلحاته ولغته ومفرداته، والصوت والصورة، والمشهد والحركة كلها سمات تكسبه صفة الرقمية، فبعد الفقرة النوعية من الخطبة إلى الرقمية أصبح لزاما على المبدع في مجال الأدب الرقمي أن يكون مطلعاً ومتمكناً من تقنيات وبرامج الحاسوب في تطوير عمله السردي بتوظيف المؤثرات الصوتية والإضاءة، وتوظيفه لكافة الفنون البصرية متجاوزاً بذلك التصوير اللغوي إلى الحركة، وبالتالي ستتغير حتماً كل الأساليب والطرق القديمة لتفتح المجال لبروز تقنيات فنية أخرى من صوت وصورة، وألوان وحركة وموسيقى... إلخ مما يحمله على ميزة الطوعية في تشكيل النص وتوزيع الروابط والشذرات بانتظام على جسد النص، وبالتالي فإن تشكيل الأدب الرقمي ينطلق من إستبدال الورق بالرقم في تدوين النصوص ونشرها عبر أقراص مرنة أو مدججة.

إن أهم نقطة تميز الأدب التفاعلي من الورقي هو أن منتج النص التفاعلي كاتب وقارئ في آن واحد ومنه " فالأدب التفاعلي لا يعترف بالمبدع الوحيد للنص، وهذا مترتب على جعل جميع المتلقين والمستخدمين للنص التفاعلي مشاركين فيه ومالكين لحق الإضافة والتعديل في النص الأصلي، إنه يلغي الحدود القائمة مسبقاً بين عناصر العملية الإبداعية، ويشرح الأبواب المؤصدة بينها، ويجعل من المبدع متلقياً ومن المتلقي مبدعاً ليؤدي اتحاد هذين العنصرين إلى إنشاء نص جديد ليس ملكاً للمبدع ولا للمتلقي، إنه ملك لجميع رواد الفضاء الافتراضي " (البريكي، 2006) ويتيح الأدب التفاعلي للمتلقين المستخدمين فرصة الحوار الحي والمباشر، وذلك من خلال المواقع ذاتها التي تقدم النص التفاعلي، رواية كانت أو قصيدة أو مسرحية، إذ بإمكان هؤلاء المتلقين المستخدمين أن يتنافسوا حول النص وحول التطورات التي حدثت في عملية القراءة والتي تختلف غالباً عن قراءة الآخرين.

إن جميع المزايا السابقة تتضافر لتنتج سمة التفاعلية في الأدب حيث تتعدد صور التفاعل بسبب تعدد الصور التي يقدم بها النص الأدبي نفسه إلى المتلقي "ومن هنا فقد فرضت التقنيات الحديثة على الكاتب والقارئ وسائلها الجديدة للتدوين والاتصال والبحث والتدريس التي تختلف عن كل الوسائل المعتادة، فقديمًا كان الكتاب وكانت الصحيفة من ورق تحمل القارئ إلى عالم الأفكار وتصل بينه وبين العالم والباحث والشاعر، أما الآن فهو أمام آلة تحمل له صورة

وصوت بالإضافة للنص المكتوب" (كرام، 2009) وينبغي على الكاتب أو الباحث الذي يريد أن ينشئ نصا رقميا أن يتقن استخدام الحاسوب وكل البرامج المتعلقة به خاصة برنامج وورد؛ حيث يقوم هذا البرنامج بأعمال كثيرة منها إنشاء الأدلة والملفات، والكتابة والتحرير، والحفظ والقص، والقصق والنقل، والنسخ والحذف وتنسيق حروف الكتابة وفقراتها، وتحديد مساحات الصفحات وأوضاعها كما يمكن إجراء تعديل للنص الرقمي في أي وقت يريد الكاتب تغييره أو تعديله، كما يسمح بالمعينة والطباعة واختيار اللغات بسهولة فائقة.

ومن بين المزايا التي يتمتع بها الكتاب الرقمي منها: سهولة حمله ونقله عبر أجهزة متعددة، وكذلك القراءة باستخدام الحاسوب وأجهزة القراءة على الهواتف المحمولة وغيرها، بالإضافة إلى قدرته على الترجمة إلى لغات أخرى، كما يستطيع المتلقي إجراء تعديلات عليه كتكبير الخط وتغييره، وتغيير اللون... إلخ، كما أنّ له قابلية النسخ إلى عدد غير منتهى من الكتب، فالأدب التفاعلي في أسطى تجلياته هو الابن الشرعي لعلاقة الأدب بالتكنولوجيا، وقد استفاد من خدماتها المختلفة خاصة تلك المتعلقة بالوسائط المتعددة التي جعلت من العمل الأدبي عملا مغريا وأضافت له العديد من المعطيات التي جُرت مكنوناته وجعلت متلقيه يبحر فيه، وهنا كان التجديد على مستوى البنية وعلى مستوى المتلقي، لهذا أصبحت قراءة النص متطلبية لتقنيات أخرى تتعلق أساسا بإدراك مبادئ العلم المعلوماتي وما فيه، إنّ هذه المعطيات التي جاء بها الأدب الرقمي "لم تأت من فراغ بل جاءت إثر معارف تراكمية، فالتجربة الإلكترونية وإن كانت جديدة في الساحة الأدبية إلا أنّها مرتبطة أشد الارتباط بالتجارب الإبداعية التقليدية، فالتفاعل خصيصه موجودة بين النصوص منذ القديم، لكن بروابط ذهنية تستدعي من خلالها تجارب مناسبة تساهم في تحصيل المعنى وإنتاج الدلالة وهذا ما عبر عنه بالنص، أما النص المترابط فقد كانت وسيلته الشاشة الزرقاء" (بنكراد، 2013).

لقد ظهرت المناهج النقدية الحديثة وأخذت على عاتقها دور المتلقي وجعلته عنصرا من عناصر العملية الإبداعية، بحيث يكمن دوره في تأويل النصوص والخطابات وإعطاء معنى دلالي لما جاءت به، فبالرغم من ذلك يبقى دور المتلقي محدودا، فهو يؤول نصه لكنه لا يستطيع أن يشارك الكاتب في رأيه أو تعديله، عكس الأدب الرقمي الذي أتاح الفرصة للمتلقي بمشاركة المبدع رأيه، فباستطاعته التدخل في تغيير بناء النص، ولا يكون هذا إلا إذا كان هناك تفاعل بين القارئ والكاتب، فالقارئ في الأدب الرقمي قارئ تفاعلي من حقه أن يدلي برأيه بنقرة واحدة، فالنص الرقمي نص تعددي مكثف يفتح باب النقاش أمام العديد من المتلقين، وبالتالي نجزم بأن هذه التقنية الحديثة تساهم في تنامي فعل القراءة والمتلقي لمستخدمي الوسائط الرقمية، وهنا نلاحظ اختلاف القارئ في فكره ووعيه عن القارئ التقليدي الذي نجده ينحرف عن الموضوعية بسبب عوامل شخصية كالانتماء الجغرافي، الوطن، التوجه الديني، والمتلقي الرقمي متملّص نوعا ما من هذه العوامل التي يظهر أثرها في التفاعل المباشر.

الخاتمة والناتج:

إفتتح العالم على عوالم متعدّدة في إطار ما يُعرف بالوسائط المتعددة التي جعلت الحاسوب (الوسيط الجديد) يتجاوز كونه مجرد أداة يقدم من خلالها الناتج الأدبي إلى دخوله معترك الأدبية، حيث أصبح جزءا من جسد النص الأدبي، من خلال الإمكانات الهائلة التي يتيحها في ربط أجزاء النص، فيتولد عن هذه الخاصية نصا جديدا يعرف بالنص الرقمي/التفاعلي، كما يمثل قفزة نوعية نحو خلق بلاغة جديدة على إنسان القرن الواحد والعشرين إدراك قواعدها

وتذوق معطياتها وجمالياتها، لأنّ ذلك كفيّل بأنّ يشكّل نوعاً من المشاركة القصديّة بين منتج النصّ ومتلقّيه، في تفاعل لم ير له مثيل فيما سبق، الشيء الذي خلق تناسقاً وانسجاماً بين الموجود والمبتغى، وأعطى فرصاً للإبداع بين المنتج والمتلقي على قدم المساواة في دورة إبداعية بين الطرفين تقوم على التكامل والتفاعل الإيجابي.

الأدب التفاعلي صورة معبّرة عن عصر جديد وعن إنسان حداثي لا يجب التهاون في الإحاطة بكل ما يتصل به، والّا إزداد حجم الفجوة إتساعاً بيننا وبين العالم المتقدم، لذلك فالمطلوب منا هو الوعي بضرورة الاندماج في السيرة الحضارية، ومن ثمّ محاولة الإلمام بما تتطلبه من وسائل وإمكانات، وتوحيد الجهود بما يخدم اللغة العربية وآدابها حتى تتمكن من وضع لبنة في صرح الحضارة المعاصرة، و اللحاق بالأهمّ المتقدمة مع مراعاة خصوصية هويتنا، والمتابع لمعطيات البحث في الثقافة الرقمية حتّى سيجد بعض الثغرات خاصة ما تعلق بمشكلات الملكية الفكرية، وصعوبات الأرشفة الرقمية، إلى جانب إفتتاح المجال المعرفي وضبابية سلطة المؤلّف، إلّا أنّ الأبحاث والدراسات الجادة مازالت في سياق التطور والتغير، ففي مجال النقد الرقمي برزت بعض التطبيقات المتنوعة، وبحسب التوجه الآتي لن ننتظر طويلاً حتى نجد التصنيفات المختلفة في النقد الرقمي العربي، مع ضرورة العمل على تسليط الضوء على خصوصية المجال الأدبي الرقمي وتقريبه إلى القارئ العادي مع شرح المصطلحات المتصلة به، وتبسيط المفاهيم والتقنيات المستخدمة ممّا يتيّح المتعة، ذلك أنّ المؤثرات البصرية والسمعية المستخدمة كقيلة بأنّ تجعل القارئ في حالة من المفاجأة والنشوة المستمرة، والترقب والدهشة، وتحطيم أفق الانتظار، كما أنّ النقد الرقمي مطالب بشيء من المسؤولية والشجاعة لكشف جاليات الإبداع الرقمي، وبيان صوره الفنية ومحاولة إيجاد أطر جديدة ينضوي من خلالها، وفك أسرارها خاصة ما تعلق منها بتداخل الأجناس الرقمية التي تُطرح بحدّة، حيث إندمجت الرواية بالقصيدة، بالمشهد المصور، بالصوت، بالألوان...، فزالت الحدود بين أجناس تعبيرية مختلفة وانصهرت في قالب واحد يعبر عن خصوصية العصر الذي زالت فيه الحدود وتقاربت عبره المسافات، وتلاشى من خلاله ثقل الزمن.

قائمة المراجع:

- البريكي، ف. (2006). مدخل إلى الأدب التفاعلي. 46. إدار البيضاء، المغرب، إدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- بنكراد، س. (2013). وهج المعاني – سيميائيات الأنساق الثقافية. إدار البيضاء: لمركز الثقافي العربي.
- حمداوي، ج. (2017). الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق. شبكة الألوكة.
- دحو، ج. (29 ديسمبر 2017). النص الرقمي في الأدب العربي من الورقية إلى الرقمية وجه آخر لما بعد الحداثة. مجلة الأثر، 111، .
- كرام، ز. (2009). الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأمّلات مفاهيمية. مصر: دار رؤية.
- ملحم، إ. أ. (2013). الأدب والتقنية-مدخل إلى النقد التفاعلي. بيروت: عالم الكتب الحديث، .
- والتقنية، 19، إ. أ. (2013). الأدب والتقنية مدخل إلى النقد التفاعلي. بيروت: عالم الكتب الحديث.
- يقطين، س. (2005). من النص إلى النص المترابط –مدخل إلى جاليات الادباع التفاعلي. إدار البيضاء: المركز الثقافي العربي..